

الهجرات العربية إلى السودان وأثارها السياسية والاجتماعية  
(1500ق.م- 1821م)

د. سلوى إبراهيم عمر علي<sup>1</sup>

أ.د. الفاتح الشيخ يوسف عبد الدافع\*

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الهجرات العربية التي وفدت إلى السودان في فترتي ما قبل وبعد ظهور الدعوة الإسلامية، والوقوف على أسباب تلك الهجرات ودوافعها، وتوضيح آثار هذه الهجرة السياسية والاجتماعية في السودان، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التاريخي التحليلي في سرد المعلومات وتحليلها، توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة أهمها: العناصر السكانية في السودان الآن تكوّنت نتيجة التمازج الاجتماعي عن طريق المصاهرة منذ أقدم العصور، الارتباط بين السودان والجزيرة العربية منذ أمد بعيد يؤكد عمق الثقافة التي ما زالت عليها الجماعات والقبائل العربية في السودان، إنّ الاتصالات بين أهل السودان، والقبائل العربية كان هدفها التبادل التجاري الذي نتج عنه استقرار مؤقت في مراكز ساحلية، وقد لعبت الهجرة العربية إلى أفريقيا دوراً مهماً وبارزاً في نشر اللغة العربية و الإسلام وإنّ الظروف الداخلية في السودان كانت مساعدة على تقبل هذه الهجرات التي وصلت إلى المنطقة من غير سند أو سلطة سياسية أو دعوة منظمة، توصى الدراسة بالبحث في الهجرات العربية والتأثيرات الثقافية والدينية في بلاد السودان، مقارنة بين بلاد السودان قبل الهجرات العربية وبعدها، كما توصي الدراسة بتقصي أهم دوافع هجرة العرب إلى بلاد السودان.

1 أستاذ التاريخ المشارك - كلية التربية - الحصاصيها- جامعة الجزيرة

2 كلية التربية - حنتوب - قسم الجغرافيا والتاريخ

هناك عدة تعريفات وضعها العلماء لتفسير ظاهرة الهجرة منها: إنَّها تعني انتقال وحركة الناس من منطقة إلى أخرى لفترات متفاوتة بصورة واضحة ، كما تعرف بأنَّها حركة الانتقال فردياً أو جماعياً من موقع إلى آخر بحثاً عن وضع أفضل. أو أن يترك شخص أو جماعة من الناس مكان إقامتهم لينتقلوا للعيش في مكان آخر؛ وذلك مع نيّة البقاء في المكان الجديد لفترة أطول أو اقصر حسب الظروف. ومن أنواعها: الهجرة الاختيارية وهي التي تتم بالمبادرة الفردية عادة والرغبة في الانتقال إلى موطن جديد من أجل البحث عن حياة أفضل ، أو الهجرة الإيجابية "التهجير القسري" وهي التي تتم بواسطة قوة ضاغطة تفرض على غير إرادة الأفراد أو الجماعات إلى مناطق أخرى، أو هجرة دائمة: وهي أن يهاجر الفرد أو الجماعات إلى الوطن الجديد دون عودة، والإقامة بصورة أبدية، أو هجرة مؤقتة، وهي أن يهاجر الفرد أو الجماعات إلى وطن جديد بشكل مؤقت بنية التحصيل العلمي أو تحسين الوضع المعيشي، أو لأسباب سياسية، أمّا من حيث شرعيتها فتُقسّم ظاهرة الهجرة من ناحية قانونية إلى هجرة شرعية: وهي التي تكون بموافقة قوانين الدول المستقبلية. وهجرة غير شرعية: بطريقة لم تنص عليها القوانين واللوائح لحصول الأفراد أو الجماعات على الإقامة في البلد المقصود: إنّ الاتصالات التي حدثت بين بلاد السودان والجزيرة العربية كان هدفها التبادل التجاري الذي نتج عنه استقرار مؤقت في مراكز ساحلية أسسها العرب لأغراض تجارية. وقد لعبت الهجرة العربية إلى أفريقيا دوراً مهماً وبارزاً في نشر الإسلام واللغة العربية بين الشعوب الإفريقية، فقد هاجر المسلمون إلى شرق إفريقيا بعد إيداء قبيلة قريش للنبي - صلى الله عليه وسلم وأصحابه في صدر الإسلام الأوّل فاضطر جماعة من المسلمين الهجرة إلى بلاد الحبشة والاستقرار فيها بعد ما وجدوا حسن الاستقبال من "النجاشي" ملك الحبشة، ثم توالى الهجرات العربية إلى شرق

إفريقيا في فترات زمنية متعددة، ونتيجة للظروف السياسية التي مرت بها الدولة الإسلامية وما نتج عنها من اضطهاد لبعض فئات المجتمع الإسلامي فقد هاجر الكثيرون منهم إلى الساحل الشرقي من إفريقيا، من بينها بعض القبائل اليمانية والحجازية والحضارمة فاندمجوا مع السكان الأصليين وأسسوا بعض المحطات التجارية، التي تطورت فيما بعد وأصبحت مدناً مزدهرة لعبت دوراً كبيراً ومهماً في المنطقة .

#### (أ) أسباب اختيار الدراسة:-

من الأسباب التي أدت إلى اختيارنا لهذه الدراسة التالي :-

1/ تسليط الضوء على أهداف وأسباب الهجرات العربية، ومعرفة القبائل التي هاجرت إلى السودان .

2/ إبراز الأثر السياسي والديني والاجتماعي للهجرات العربية في السودان.

3/ إثراء المكتبة السودانية بعمل يوثق لتاريخ الهجرات العربية في السودان.

#### (ب) أهمية الدراسة:-

1/ الوقوف على التأثيرات السياسية والاجتماعية للقبائل العربية عند وصولها إلى السودان.

2/ تميز الشخصية السودانية لامتزاجها بالعناصر العربية.

3/ تمثل حلقة الوصل بين السودان وشبه الجزيرة العربية بمحافظتها على اللغة العربية، ونشرها في السودان .

#### (ت) أهداف الدراسة :-

1/ الوقوف على الهجرات العربية للسودان قبل الإسلام، وبعد قيام الدعوة الإسلامية.

2/ الإمام بالأسباب والدوافع التي أدت إلى هجرة القبائل العربية إلى بلاد السودان.

3/ بيان الآثار الاجتماعية والسياسية التي ترتبت على تلك الهجرات.

4/ التربية الوطنية على أساس الإمام بالأصول العربية العريقة .

5/ ربط الجيل الناشئ بترائه وطنياً وثقافياً وفكرياً .

(ث) نطاق الدراسة:-

1/ النطاق الزمني:-

تغطي هذه الدراسة الفترة بين (1500ق.م - 1821م)

2/ النطاق المكاني :-

يشمل الحدود الجغرافية للسودان في فترة التاريخ القديم و الوسيط والحديث.

(ج) منهج الدراسة :-

اتبعت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي، كما اعتمدت أيضاً على المنهج

الوصفي.

(أ) دخول العرب إلى السودان قبل الإسلام :-

الواضح أنّ العنصر العربي قد عبر إلى مصر والسودان قبل الإسلام بزمن طويل،

ونتيجة لتشابه سكان هذه المنطقة لحد كبير من حيث التكوين العرقي كان الاتصال

بين جانبي البحر الأحمر أمراً سهلاً، كما أنّه ليس من اليسير أن يحدّد تاريخ مُعيّن

لبداية العلاقة بين الجزيرة العربية وبلاد السودان بوجه عام، وبلدان وادي النيل

بشكل خاص، بيّد أنّ هناك شبه إجماع بين المؤرخين والباحثين على أنّ هذه العلاقة

مُوغلة في القِدَم، تعود إلى ما قبل بعثة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وهذه

حتمية تؤيدها الحقائق الجغرافية والروايات التاريخية؛ ذلك أنّ البحر الأحمر لم يكن

في وقت من الأوقات حاجزاً يمنع الاتصال بين شواطئه الآسيوية العربية وشواطئه

الإفريقية وهو الطريق الذي سلكته السلالات والأجناس إلى القارة الإفريقية منذ وقت بعيد<sup>(1)</sup> تذهب بعض الروايات التاريخية إلى أنّ المصريين القدماء الذين عبّدوا الإله حُورس كانوا عرباً هاجروا من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر عن طريق مصوع<sup>(\*)</sup> وتابعوا سيرهم عن طريق وادي الحمامات شمالاً إلى مصر، وأنّ معبد الشمس الذي بُني قرب ممفيس إنّما بنّته جاليات عربية وصلت إلى هناك في وقت غير معروف، كما وُجِدَت آثار لجاليات عربية كبيرة تسكن المنطقة المحاذية للنيل من أسوان شمالاً إلى مروي جنوباً<sup>(2)</sup> وقد دلّت الأبحاث الأثرية والتاريخية على أنّ هجرات عربية قَدِمت من جنوب الجزيرة إلى السودان عبر البحر الأحمر، ويعود بعضها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وثبّتت بعض هذه الجاليات العربية أقدامها في بعض جزر البحر الأحمر مثل دهلك<sup>(\*)</sup> منذ عدة قرون قبل الإسلام، ولم يقتصر وجود الجاليات العربية على الساحل الإفريقي، بل إنّ أفراد هذه الجاليات قد توغلوا في الداخل ووصل بعضهم إلى ضفاف النيل، وأقاموا شبكة من طرق القوافل التجارية بين ساحل البحر الأحمر والمناطق الداخلية، وقد وصل العرب إلى وادي النيل عن الطريق الشمالي البري المار

(1) ابن سيد الناس ، ، محمد بن عبدالله : السيرة النبوية، ج 1، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1406هـ / 1986م، ص152 .

(\*) مصوع: ميناء تجاري هام يقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وشهد صراعات عديدة في التاريخ، ضمه العثمانيون لهم، وأقاموا فيه قواعد حربية تأميناً للتجارة ومناظراً في سنة 1520م. - مسعد ، مصطفى: الإسلام والنوبة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1966م ، ص126، 209.

(2) محمد ،محمد عوض: السودان الشمالي سكانه وقبائله، القاهرة، 1951م، ص 28. (\*) دهلك: اسم أعجمي معرّب لجزيرة في بحر اليمن، ومرسى بين بلاد اليمن والحبشة، كأنّ بنو أمية إذا

سخطوا على أحد نفوه إليها، قال الشاعر: وأقبخ بدهلك من بلدةٍ فكل امرئٍ حلّها هالك - الحموي ،شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت : معجم البلدان ، بيروت ج1920، 2م ، ص634.

عبر سيناء إلى مصر، ثم انحدروا جنوبًا إلى بلاد البجة والنوبة، ومن المعروف أنّ الحياة الاجتماعية لدى كثير من قبائل السودان كانت مرتبطة بحياة الرعي والترحال في البوادي؛ وهذا يعد امتدادا لحياة البداوة التي عاشتها قبائل الجزيرة العربية في نجد والحجاز من حيث العادات والتقاليد التي سادت جزيرة العرب قبل الإسلام مما يؤكد أنّ السودان قد عرف العروبة الجاهلية قبل ظهور الإسلام<sup>(1)</sup>. هذا وقد كانت التجارة تمثّل أهم وسيلة لهذه الاتصالات؛ إذ نشطت حركة تجارة العاج، والصمغ، واللبان، والذهب، بين الجزيرة العربية من ناحية وبين موانئ مصر والسودان والحبشة من ناحية ثانية؛ مما يؤكد أهميتها في حركة الاتصال والتواصل النشط بين سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية، وقد بلغت هذه الهجرات أقصاها ما بين 1500 ق.م - 300 ق.م، وفي عهد دولتي معين، وسبأ العرب حملوا لواء التجارة في البحر الأحمر ووصلوا في توغلمهم غربًا إلى وادي النيل، ونشطت حركة التجار العرب، خاصة زمن البطالمة<sup>(1\*)</sup> والرومان، ولا شك أنّ عددًا غير قليل من هؤلاء استقروا في أجزاء مختلفة من حوض النيل ولحق بهم عدد من أقاربهم وأهلهم.

(2). وفي القرنين السابقين للميلاد عبر عدد كبير من الجُمَيْرِين<sup>(\*)</sup> مَضِيق باب المندب،

(1) خليفات، عوض محمد: مملكة ربيعة العربية، عمان، 1983م، ص 47.  
- الحاج، محمد احمد على: الإسلام في وادي النيل الأزرق، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لكلية الآداب جامعة أم درمان الإسلامية، 1402هـ\_ 1982م، ص 68.  
(1\*) البطالمة هم عائلة من أصل مقدوني نزحت إلى مصر بعد وفاة الإسكندر الأكبر سنة 323 ق.م، حيث تولى أحد قادة جيش الإسكندر الأكبر وهو "بطليموس" حكم مصر، اهتم بطليموس الأول ببناء مدينة الإسكندرية التي أسسها الإسكندر الأكبر قبل مغادرته مصر في حملة عسكرية إلى بلاد الفرس وأفغانستان والهند. وجعل بطليموس الأول الإسكندرية عاصمة لمصر.  
\_Holbl, Gunther, A History of The Patolemaic Empire, Routledge, London & New York 2007, ISBN 978-0-415-23489-4  
(2) مسعد، مصطفى: الإسلام والنوبة مرجع سبق ذكره، ص 107 - 108.  
- البصلي، الشاطر: معالم تاريخ سواند وادي النيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1969م، ص 8.

فاستقر بعضهم في الحبشة، وتحرك بعضهم الآخر متبعًا النيل الأزرق ونهر عطبرة، ليصلوا إلى بلاد النوبة، كما يرجح أنهم لم يتوقفوا عند هذا الحد بل واصلوا هجرتهم حتى المناطق الغربية سودان وادي النيل، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن هناك حملات عسكرية قام بها الجُمَيْريون في وادي النيل الأوسط وشمال إفريقيا، حيث تركت هذه الحملات جماعات استقرت في بلاد النوبة، وأرض البجة، وشمال إفريقيا. كما تشير بعض الروايات إلى حملة قادها أبرهة ذو المنار بن ذي القرنين الجُمَيْري<sup>(\*)</sup> على السودان وبلاد النوبة والمغرب في أوائل القرن الأول قبل الميلاد، ثم إلى حملة أخرى قادها ابنه إفريقيش إلى شمال إفريقيا، وقد دخلت تلك الجماعات المهاجرة الوطنيين من أصحاب تلك البلاد التي هاجروا إليها، وأصبح لهم وجودٌ معتبر فيها، ولعل وجود العمامة ذات القرنين التي كانت شارة من شارات السلطة الكوشية دليلًا على ذلك الوجود الجُمَيْري المبكر، إضافة إلى عدد من القرائن الأخرى الدالة على هذا الوجود. كما وردت إشارات إلى وجود جماعات من الحضارة عبروا البحر الأحمر إلى ساحله الإفريقي في القرن السادس الميلادي، ثم اختلطوا بالبجة، وكوّنوا طبقة حاكمة خضع لها البجة، وقد عرّفوا عند العرب بالحداربة الذين استقروا في إقليم العتباي في

(\*) حميريون بالأصل قبائل سبئية اعتنقت الديانة اليهودية، كانت تنتشر في مناطق ريمة - تعز - إب - ذمار وأجزاء من صنعاء ومأرب، وعاصمتهم ظفار في محافظة إب.  
- الزبيدي، محمد المرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة دار الحياة، بيروت، ج 2 ص 73.

(\*) هو أحد ملوك اليمن الأقدمين ملك بعد أبيه الرائش. قال ابن هشام هو ابن الصعب بن ذي مدائر أو مرثد ابن الملطاط. وقال ابن الكلبي أنّ اسم أبيه الحرث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يعرب بن قحطان ولقب بالرئش لغنيمة غنمها فدخلها اليمن

قال ابن الوردي ان أبرهة بن الرئش من ملوك أحياء العرب البائدة ملك في طسم وو هي ساكنة مع جديس باليمامة وقال القرمانى إنّه ملك 183 سنة ثم ملك بعده ابنه . أفريقيش وقال أنّه ملك 180 سنة.و كان لقب أبرهة ذو المنار ،مصدر الكتاب : موقع الوراق ، ص 74.

الشمال، ثم اضطروا إلى الانتقال جنوبًا في القرن الخامس عشر الميلادي؛ حيث أسسوا مملكة البلو (مملكة بني عامر) <sup>(2\*)</sup> في إقليم طوكر والتي تتحدث لغة التقرى وهي من اللغات السامية <sup>(1)</sup>. من المهم الإشارة إلى نزوح بعض الجماعات النوبية والسودانية عن موطنها إلى الجزيرة العربية؛ حيث تأثرت بعادات وتقاليدها سكانها قبل الإسلام، بل مشاركتها في الحياة الاجتماعية والثقافية هناك؛ فقد استعان المكّيين بنجّار قبطي أثناء إعادتهم بناء الكعبة قبل البعثة المحمدية، بيد أنّ بعض المصادر تشير إلى وجود قديم لجاليات حبشية ونوبية وسودانية في بعض مناطق الحجاز في تلك الفترة، وتذكر أنّ عدد الأحباش والنوبيين كان كبيرًا في عدد من مَدنِه، وأدى وجودهم إلى أن يتعلم بعض العرب لغتهم؛ إذ ثبت أنّ عددًا من صحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد تعلموا بعضًا من تلك اللغات، وأنّ زيد بن ثابت وحنظلة بن الربيع بن صيفي التميمي الأسدي كانا يترجمان للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالقبطية والحبشية، وقد تعلمها من أهلها بالمدينة <sup>(1)</sup> فتذكر المصادر أنّه كان للنبي (صلى الله عليه وسلم) مولى نوبي اسمه يسار، أصابه في غزوة بني عبد بن ثعلبة فأعتقه، وعلى الرغم من ثبوت الوجود العربي المبكر، والاتصال ببلاد النوبة والسودان في فترة ما قبل الإسلام، إلا أنّه لم يكن ذا تأثير واضح في سكان البلاد، ويرجع ذلك إلى أنّ العرب

<sup>(2\*)</sup> البلو هم البنو عامر من قبيلة بلي المعروفة، واسمهم في السودان (بلو)، ولهم رابطة تعنتي في الموروث والنسب .

- المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المطبعة الأميرية . القاهرة ، ج1 ، 1970م، ص 195.

<sup>(1)</sup> الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله : مصدر سبق ذكره، ص63.

<sup>(1)</sup> ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك : السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الستار وآخرين، مطبعة الحلبي، مصر ، ج1، 1355هـ - 1936م ص 205 .

- حسن ، يوسف فضل : المعالم الرئيسية في الهجرة العربية إلى السودان، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الخامس، القاهرة ، ص103.

وقتها لم يحملوا عقيدة واحدة واضحة، كما لم يكن لهم هدف محدد سوى العمل في التجارة، والبحث عن مناخات وفرص أفضل لكسب العيش في تلك المناطق، عكس الحال عندما جاء العرب المسلمون الذين يحملون عقيدة واحدة، ويتكلمون لغة واحدة، ويمثلون دولة واحدة، وينشدون أهدافاً موحدة، ويكادون يتفوقون في السلوك العام المنضبط بتعاليم الإسلام<sup>(2)</sup>. وعليه فإنَّ أهم نقطة تحوُّل في تاريخ العلاقة بين العرب المسلمين وبين منطقة وادي النيل وبلاد النوبة والسودان حدثت بعد الفتح الإسلامي لمصر سنة 21هـ في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، بقيادة الصحابي عمرو ابن العاص (رضي الله عنهما)، وهي توقيع المسلمين لمعاهدة البقط مع ملوك النوبة والسودان من النصارى الذين كانوا يقيمون في شمالي السودان وحاضرتهم مدينة دنقلا، ذلك أنَّ هذه المعاهدة تضمنت بنوداً مهمة سهَّلت وسمحت في مجملها للقبائل العربية بالهجرة، والتدفق نحو بلاد النوبة والسودان بشكل كبير لم يحدث له مثيل؛ مما مكَّنها مستقبلاً من الإحاطة بالكيانات النوبية المسيطرة، وتحوُّل النوبيين وأهل السودان من النصرانية إلى الإسلام<sup>(3)</sup>.

### (ب)الهجرات العربية إلى السودان بعد الإسلام:

كان لظهور الإسلام أثر كبير في تاريخ العرب فقد أمدهم بروح دينية وفكرية جديدة ساعدتهم على إقامة دولة إسلامية عظيمة، ثم امتدت الفتوحات الإسلامية حتى وصلت إلى أماكن لم تصلها الهجرات العربية السابقة للإسلام، فكان من الطبيعي أن تتأثر بلاد السودان بالإسلام بسبب الجوار مع بلاد الحجاز مهد الدعوة

(2) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة: المعارف، ص 147 تحقيق د. ثروت عكاشة، دار العلم للطباعة والنشر، جدة 1403هـ، ص 83.

(3) المهدي، الصادق الصديق عبد الرحمن : مستقبل الإسلام في السودان، دون ناشر، 1982م، ص 17.

- حسن، يوسف فضل : الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام، بحث منشور ضمن إصدار بعنوان: "الإسلام في السودان" عن جماعة الفكر والثقافة الإسلامية، دار الأصالة، الخرطوم، ص 3.

الإسلامية والهجرات العربية المتتالية، هذا وقد تدفقت الهجرات منذ ظهور الإسلام حتى القرن التاسع الميلادي ، والجدير بالذكر أنّ القبائل العربية التي جاءت إلى بلاد النوبة في تلك الفترة كانت قد هاجرت من موطنها إلى مصر، ثم تداخلت مع القبائل التي سبقتها لأنّ الوالي الذي كان يعين على مصر يأتي إليها ومعها قبيلته وظلت هذه الطريقة متبعة لدى اغلب الولاة الذي حكموا مصر<sup>(1)</sup> وتعد هذه المرحلة الثانية من الهجرات وقد بدأت منذ القرن التاسع الميلادي الذي انفصلت فيه مصر عن الدولة العباسية، وتستمر هذه الفترة حتى القرن الرابع عشر الميلادي بعد استيلاء بني الكنز على الحكم في بلاد النوبة، وتعد هذه الفترة الأكثر استقبالية للهجرات بسبب معاداة العناصر التركية للعناصر العربية، وفقدان العرب مكانتهم في الدولة هذا وقد قام المماليك بمطاردة العرب وملاحقتهم، فأصبح صعيد مصر خالياً من العرب بعد أن كان اغلب سكانه منهم ،كما قدمت هجرات أقل عدداً عبر الطريق الليبي أو الطريق الغربي، فالهجرات النازحة لبلاد النوبة في الفترة السابقة للإسلام كانت أشبه ما تكون بالجاليات وكانت قليلة العدد ، إما الهجرات بعد نزول دعوة الرسالة المحمدية كانت كبيرة وغيرت شكل البلاد وجاءت تحمل ثقافة وعقيدة واحدة واستقرت هذه المجموعات في مناطق التعدين تجاراً أو فارين بأفكارهم أو لظروف اقتصادية، ويبدو أنّ العرب تابعوا اتصالاتهم بالساحل الغربي للبحر الأحمر بعد الإسلام عبر الطرق السالكة التي ظلت معروفة لقرون للمهاجرين والتجار العرب، وقد تدفق العرب في بادي الأمر إلى مصر بتشجيع من الدولة الأموية ، وبعد سقوطها وقيام الدولة العباسية التي اعتمدت على تأييد الموالي تراجعت مكانة العرب السياسية فأبدوا استيائهم على السياسة الجديدة ، وانعكس هذا على بلاد السودان مما أدى إلى

(1) المقرئزي ، تقي الدين أحمد بن علي : مصدر سبق ذكره، ص488.

ازدياد الهجرات العربية للسودان سخطاً على الدولة وبحثاً عن أوضاع أفضل، وانشغال حكام مصر بصراعهم مع العرب مما دفع البجة للهجوم عليهم<sup>(2)</sup>. و خلاصة القول إنّ سياسة الدول الإسلامية قد ساعدت على الهجرات العربية إلى بلاد السودان، خاصة بعد سقوط الدولة الأموية التي اعتمدت في إدارتها على العنصر العربي، وقيام الدولة العباسية واعتمادها على العناصر غير العربية.

### (ث) دوافع الهجرات العربية إلى السودان:ـ

أما أسبابها ودوافعها، إما أن تكون أسباباً اقتصادية: وفيها يقوم الأفراد والجماعات بالهجرة إلى المناطق الأكثر رزقاً وخيراً. أو أن تكون أسباباً اجتماعية: وعلى أساسها يقوم الأفراد أو الجماعات بالهجرة فراراً من الاضطهاد العرقي أو الديني أو الثقافي. أو تكون أسباباً سياسية: وعلى أساسها يقوم الأفراد والجماعات بالهجرة إلى مكان آمن؛ وذلك بسبب الحروب أو الاضطهاد السياسي أو التهديد بالقتل الفردي والجماعي. أو تكون أسباباً طبيعية وعلى أساسها يهاجر الناس إلى المناطق الأكثر أمناً. كأن يقوموا بالهجرة من مناطق الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين ومناطق السيول والفيضانات ومناطق المد البحري العواصف البحرية، أو مناطق التصحر والقحط والجفاف إلى المناطق التي يضمنون استمرار حياتهم فيها بشكل آمن<sup>(1)</sup> ولا شك أنّ الهجرات إلى بلاد النوبة لم تتم في فترة واحدة محدّدة، ولم تحركها ظروف واحدة، بل تمت على فترات متقطعة تنشط حيناً، وتفتت حيناً آخر، وتتحكم فيها عدد من الدوافع

(2) حريز، سيد حامد: السودان ومستقبل العلاقات العربية الأفريقية، مجلة دراسات إفريقية، العدد 34، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة، السنة 21، ص 14.

(1) حسن، يوسف فضل: الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام، بحث منشور ضمن إصدار بعنوان: "الإسلام في السودان" عن جماعة الفكر والثقافة الإسلامية، دار الأصالة، الخرطوم، ص 3.

أو العوامل الدينية، والسياسية، والتجارية، والاقتصادية، ويمكن حصرها في الدوافع التالية:

### (1) الدوافع الدينية: \_

كان معظم جنود الحملات العسكرية التي سيرها ولاية المسلمين من مصر نحو بلاد النوبة من رجال القبائل العربية، وممن شاركوا في الفتح الإسلامي لمصر، أو من المدد الذي ظل يصل تباعاً إلى مصر من الجزيرة العربية لتقوية السلطة وحماية الدولة والتوسع في الفتوح، ومن الواضح أنّ الولاة في مصر لم يكونوا يترددون في تسيير الحملات العسكرية تجاه النوبة، كلما أغاروا على الحدود والمدن الجنوبية للدولة، أو كلما تمرّدوا عن دفع ما عليهم من (بقط والتزام)، فكان من الأهداف الرئيسة التي حركت أولئك المقاتلين هو الجهاد في سبيل الله - تعالى - لردّ كيد الأعداء والدفاع عن الدولة المسلمة، وحمل لواء الدعوة الإسلامية وتبليغها للعباد، تدفعهم لذلك نصوص صريحة من القرآن الكريم، وترغيمهم في ذلك؛ كقوله - تعالى - : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾<sup>(\*)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(1\*)</sup>، وقوله - تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(2\*)</sup>، ومن أقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: (مَن مات ولم يَغزُ ولم يحدِّث نفسه بالغزو مات على شُعبة من نفاقٍ)<sup>(3\*)</sup> وقوله - صلى الله عليه وسلم -: (المجاهد في سبيل الله مضمون على الله إما إلى مغفرته ورحمته، وإما أن يرجعه بأجر وغنيمة، ومثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الذي لا يفتر حتى يرجع)<sup>(4\*)</sup>، فهذه النصوص

(\*) سورة التوبة أية 20.

(1\*) سورة العنكبوت، أية 69.

(2\*) سورة النساء أية 95.

(3\*) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب: سنن النسائي ج 6، مكتبة مصطفى الحلبي، 1984، ص 8.

(4\*) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب: سنن النسائي ج 6، مكتبة مصطفى الحلبي، 1984، ص 8.

الواضحة الصريحة من الكتاب والسنة كانت هي الدافع الحقيقي لمشاركة هؤلاء الرجال في هذه الحملات الجهادية، إضافة إلى حماسهم لأجل تبليغ الدعوة الإسلامية، إلا أنّ كثيراً من المؤرّخين المحدثين، الذين كتبوا عن تاريخ الهجرات العربية إلى بلاد النوبة، قد أغفلوا هذا الدافع ضمن ما ذكروا من دوافع للهجرة، على الرغم من أنّه هو الدافع الرئيس لها.

## (2) الدوافع السياسية :

هي التي على أساسها يقوم الأفراد والجماعات بالهجرة إلى مكان آمن؛ وذلك بسبب الحروب أو الاضطهاد السياسي أو التهديد بالقتل الفردي والجماعي.. ومن الدوافع أنّ بلاد النوبة ظلت ملجأً لكثير من الهاربين من مصر، أو من الجزيرة العربية بسبب الثورات وتغير نظام الحكم، ويقدم هؤلاء القادة الهاربون عادة في أعداد ضخمة وكبيرة من أتباعهم وأهلهم وعبيدهم، وحوادث التاريخ تبيّن أنّه حين اجتاحت قوات العباسيين الولايات الإسلامية هرب آخر الخلفاء الأمويين إلى مصر؛ حيث قُتل هناك، ثم هرب أبناء عبيد الله جنوباً إلى النوبة مصحوبين بعدد من الأقارب والأتباع البالغ عددهم نحو 400 شخص، واستجار الأمويون بملك النوبة آمين أن يقيمهم في بلاده، لكن الملك النوبي رفض ذلك، وطلب منهم الرحيل، فتوجّهوا شرقاً مارين بأرض البجة إلى ميناء باضع، وتعرضوا للجوع والعطش والتعب فهلك عدد منهم من بينهم عبيد الله بن مروان، ومضى أخوه إلى ميناء باضع على ساحل البحر الأحمر؛ حيث عبر إلى جُدّة، ومنها سار إلى مكة المكرمة، فقبض عليه وأرسل إلى بغداد؛ حيث بقي سجيناً حتى أيام الخليفة هارون الرشيد الذي أمر بإخراجه بعد أن أصبح كهلاً ضريراً، هذا ولا يستبعد أن يكون رجال البجة - باتفاق مع النوبيين - قد غدروا بهؤلاء الأمويين تقريباً

للعباسيين؛ حيث كشفت الحفريات الأثرية الحديثة عن قبور هؤلاء الأمويين الفارين على طول الطريق الذي سلكوه من النوبة إلى ميناء باضع البجاوي<sup>(1)</sup>.

ويبدو أنّ بعض من نجا من هؤلاء الأمويين قد استقر على الساحل السوداني للبحر الأحمر قرب باضع حيث اختلطوا بالسكان المحليين وتزوجوا منهم، وأصبح لهم شأن كبير تبعاً لأصلهم القرشي، وقد كان لبقاء هؤلاء الأمويين في تلك المنطقة أثر في ادعاء بعض الأسر السودانية بأنّها تنحدر من أصل أموي، ومن الأمثلة على ذلك أسرة الفونج المشهورة (اختلف المؤرخون في أصلهم، ف قيل: إنهم من القبائل النيلية السودانية الشلك، وقيل إنهم من البرنو من غرب إفريقيا، إضافة إلى الرأي القوي الذي يقول إنّ أصولهم ذات صلة مباشرة بالأمويين)، إضافة إلى دور من استقر من تلك القبائل في نشر دعوة الإسلام بين سكان البلاد، وظلت بلاد النوبة تمثل دائماً ملجأً للسياسيين والأمراء الفارين من مصر، يلجؤون إليها لترتيب أمورهم و صفوفهم من جديد، ريثما يبدؤون محاولة الثورة والمقاومة مرة أخرى؛ مثل هروب عبد الله وعبيد الله ابني مروان بن الحكم إلى بلاد النوبة، ومثلما فعل الناصر الأموي أبو ركوحة في عهد الفاطميين، ومن الدوافع التي أسهمت في دعم وتوسيع الهجرة العربية إلى النوبة تلك الحملات الحربية التي سبّرها ولاة المسلمين من مصر - بعد إعدادها ودعمها - إما بسبب انقطاع النوبة عن دفع (البقط) المقرر عليهم، أو بسبب هجومهم على منطقة الحدود جنوبي مصر، وقد كانت هذه الحملات تصل إلى أعماق بلاد النوبة، ثم تستقر أعداد من المشاركين فيها في تلك البلاد، فيساهمون في نشر الدعوة والثقافة الإسلامية

(1) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: التنبيه والإشراف تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، القاهرة، 1938م، ص 329.  
- ابن إياس، محمد بن أحمد: بدائع الزهور، القاهرة 1896م ص 29 - 31.  
- خليفات، عوض محمد: العرب والنوبة في صدر الإسلام، بحث بمجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، رجب 1402هـ / 1982م، ص 63.

في المنطقة، ونقل الدماء العربية للنوبيين بالتزاوج منهم، ومصاهرتهم ، ومن الدوافع السياسية تحوُّل سياسة العباسيين تجاه العرب؛ إذ المعروف أنه مع الفتح الإسلامي لمصر ظلت القبائل العربية تفتد إليها بأعداد كبيرة جدًّا، سواء دعاهم الولاة كما سبق، أو بتحرك تلقائي من قبلهم نحو مصر، فأصبحت أعدادهم كبيرة جدًّا، وصار لهم نفوذ مهم في الدولة وتسيير أمورها، واستقرت جماعات منهم في الريف، ومارست الزراعة ، إلا أنه بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية بدأ العباسيون في استرضاء الموالي، والاعتماد على الجنود الأتراك، وعلى وجه الخصوص في عهد الخليفة المعتصم (218 - 227هـ)، فأتبتهم في الديوان، وأمر وإليه في مصر بإسقاط من في ديوان مصر من العرب، وقطع العطاء عنهم، وأدَّى هذا القرار الخطير إلى ثورة عربية ضد الوالي، انتهت بأسر زعمائها من القبائل العربية<sup>(1)</sup>

وبهذا انقرضت دولة العرب في مصر، وصار جندها العجم الموالى منذ عهد المعتصم إلى أن ولي الأمير أبو العباس أحمد بن طولون، فاستكثر من العبيد ، ففقد العرب بهذا نفوذهم القديم، وأبدوا استياءهم الشديد لهذا التحول في سياسة الدولة، وكثرت ثوراتهم في أول قرن للدولة العباسية، وقامت ثورات يقودها أمراء أمويون في صعيد مصر، أيدها كثير من القبائل العربية ولم تُفلح الحكومة المركزية في إخمادها إلا بعد جهود كبيرة، وأعلنت كذلك قبائل قيس العسيان ورفضت دفع الخراج المقرر عليها<sup>(2)</sup>. فكان طبيعيًا أن يتبع هذه الاضطرابات نزاعات كثيرة بين هؤلاء

(1) المقرئزي، تقي الدين احمد بن على : البيان والأعراب عن بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد المجيد عابدين، القاهرة، 1961م ص 66 - 86، 98 - 99.

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار كتب المؤسسة المصرية العامة، القاهرة 1383-1963م ، ص223.

(2) الكندي ،محمد بن يوسف: الولاة والقضاة، دار صادر، بيروت 1379هـ / 1959م، ص 145- 146 .  
- الأرمني، أبو صالح: تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني، أكسفورد ، 1894م ص 12.

الذين امتنعوا عن دفع الخراج المقرر عليهم - مع التمتع بملكية وخيرات الأراضي التي يفلحونها - وبين ولاية الأمر في مصر، وأدى ذلك إلى توسيع الشُّقة بين العرب والولاة من حكام مصر، فكان لهذا التوتر والضغط السياسي والاقتصادي، أسوأ الأثر في نفوس العرب، الذين فقدوا مصدر رزق مهم بالنسبة لهم، ولم يبقَ أمامهم إلا أحد أمرين: إما أن يذعنوا للأمر ويسلموا بهذا الواقع، وإما أن ينزحوا نحو صعيد مصر بعيداً عن سلطة الوالي، فأثروا الأمر الثاني، وأخذوا منذ أوائل القرن الثالث الهجري ينزحون للصعيد المصري، ومنه لبلاد النوبة في مجموعات صغيرة دون أن تسترعي انتباه أحد، أو يسجل التاريخ تفاصيلها، والأغرب من ذلك أنهم قد اجتازوا الحدود بين مصر والنوبة في هدوء شديد، لم يلفت إليهم صاحب الجبل وإلى الإقليم الشمالي من قبل النوبة، الموكل بحفظ الحدود الشمالية لبلاده، ويحول دون دخول أي شخص إلى البلاد دون تصريح رسمي يسمح له بذلك<sup>(3)</sup>.

### (3) الدوافع التجارية والاقتصادية :-

وفيهما يقوم الأفراد والجماعات بالهجرة إلى المناطق الأكثر رزقاً وخيراً ، ولقد ظلت العلاقات التجاريّة بين مصر والنوبة مزدهرةً منذ قديم الزمان، وذلك لحاجة البلدين لهذا التبادل التجاري إذ كانت مصر تحتاج لكثير من المنتجات التي لا تتوفر فيها مثل: الأخشاب، والعاج والأبنوس، وبعض التوابل.. وغيرها من منتجات بلاد النوبة، فخرجت قوافل تجارتها منذ قديم الزمان إلى الجنوب ، حتى وصلت إلى أجزاء نائية من القارة الإفريقية، وارتبطت مع بلاد النوبة بصلات تجارية قوية؛ فكانت مدينة أسوان مجمّعاً للتجار من أهل السودان ومن النوبة، وكان التجار النوبيون يقدمون إلى

- رولاند أوليفر: موجز تاريخ إفريقيا، ترجمة دولت أحمد صادق، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ص 39.

(3) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس : نزهة المشتاق في افتراق الأفاق، روما 1970م، ج1، ص 39.

أسوان عن طريق النيل حتى الجنادل، ثم يتحولون إلى ظهور الإبل حتى يصلوا إلى أسوان، وقد سكنها كثير من العرب لمناخها الذي يقارب مناخ الجزيرة العربية ولمركزها التجاري إضافة إلى أنّ النوبة كانت تصدر عن طريق أسواقها أهم منتجاتها من الذهب والزمرد الذي ينتج في وادي العلاقي، إضافة إلى الرقيق، والعاج، والأخشاب الصلبة، والأبنوس، وشن الفيل لصناعة العاج، الذي يستخدم في الزينة، وريش النعام، والحديد الذي يستخرج ويصهر بالقرب من نبتة ومروى، وكانت ترد إلى النوبة المنسوجات، والقمح، والنحاس من مصر<sup>(1)</sup>. وحين وقّع عبد الله بن سعد عهد الصلح مع ولاية النوبة نصّ صراحة على حق الترحال لرعايا البلدين في البلد الآخر دون الإقامة الدائمة، فقد ساق هذا الحق التُّجار المسلمون إلى أعماق النوبة مع بضاعتهم وتجارتهم وعقيدتهم الإسلامية، واستطاعوا بما اكتسبوا من معرفة بأحوال البلاد تمهيداً الطريق لهجرة القبائل العربية في أعداد كبيرة، بل نجد أنّ أعداداً منهم قد استقرت في فترة مبكرة في (سوبا) عاصمة مملكة علوة النصرانية جنوب المقرّة، حتى أصبح لهم حيٌّ كامل يُعرف بهم، ومن الدوافع كذلك التي ساهمت في دفع القبائل العربية للهجرة نحو جنوب مصر في النصف الأول من القرن الثالث الهجري سماع القبائل بتوافر معدني الذهب، والزمرد، في الصحراء الشرقية لبلاد النوبة، واشتهار أمرهما لا سيما في وادي العلاقي من أرض البجة؛ فأدى ذلك إلى اجتذاب كثير من القبائل العربية المختلفة إلى هذه الأوطان للعمل فيها، واستغلال مناجمها، وأدى استقرارهم هناك إلى اختلاطهم بقبائل البجة عن طريق المصاهرة، فنقلوا إليهم العقيدة الإسلامية، وتغيّرت كثيرٌ من عاداتهم وتقاليدهم بهذا النسب الجديد<sup>(2)</sup>.

(1) خورشيد، عبد الله: القبائل العربية في مصر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، ص52.  
\_ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر: كتاب البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف، 1377هـ - 1957م، ص120.

(2) الأسواني، ابن سليم: أخبار النوبة، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1270هـ، ج1، ص193.

إضافة إلى ذلك فإنّ مراعي النوبة وأراضيها التي كانت تتميز بأنّها أكثر خصوبة من أراضي ومراعي شبه الجزيرة العربية، وعلى وجه الخصوص النوبة الجنوبية علوة، التي كانت أكثر اتساعاً وأخصب أرضاً وأوفر ثروة من المقرة ، إضافة إلى أنّ مناخ النوبة الشمالية المقرة يشبهُ مناخ وبيئة شبه الجزيرة العربية ، وهو ما يوائم حياتهم التي جُبلوا عليها في حب الترحال والتنقل، وقد كان لهذا التشابه في المناخ وطبيعة البلاد والأرض المسطحة أثره في دفع هذه القبائل للتقدم نحو الجنوب، وهي قبائل بدوية رعوية، أو شبه رعوية لا تستطيع التقدم إلا في السهول المكشوفة؛ فكان تدفقهم في كل أرض وصلوها يقف عند اصطدامهم بعقبات طبيعية؛ كالجبال، والجبال، والغابات، وهذا ما حدث بالضبط؛ إذ إنّ تلك القبائل لم تتوقّف في زحفها إلا عند المناطق التي تسوء فيها الطرق، وتتفشّى فيها الأمراض الفتاكة، بيد أنّ هذه الجماعات العربية المهاجرة اختلطت بالعناصر النوبية والبجاوية في تلك المناطق، وأدى هذا الاختلاط إلى تأثر هؤلاء بالدماء العربية، التي كانت تتجدد باستمرار مع توالي وصول عناصر عربية جديدة إلى هذه الجهات، إضافة إلى اعتناق عددٍ منهم للإسلام في هذه الفترة بالرغم من جهلهم باللغة العربية ، والراجح أنّ العرب تعلّموا لغة النوبيين بعد أن اختلطوا بهم واستطاعوا بذلك نشر ثقافتهم الإسلامية في بلاد النوبة<sup>(1)</sup>.

هذا وقد تعاضمت أعدادُ القبائل العربية المهاجرة، وانتشرت أحياء العرب من جُهينة في بلادهم - أي النوبة - واستوطنوها وملكوها، وذلك في المراحل الأخيرة للمملكة النوبية النصرانية التي أصابها الضعف والوهن؛ بسبب خلافاتها الداخلية، وبسبب الضغط القوي للقبائل العربية التي سارت في زحفها، حتى بلغت أرض البطانة،

- مسعد، مصطفى: البجة والعرب في العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة، مجلد 21، عدد 2، ص 29.

(1) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر: تاريخ اليعقوبي، ج 1، دار صادر، بيروت، 1960م، ص 191.

والجزيرة، ثم عبر بعضها نهر النيل إلى كردفان ودارفور، وهناك التقت هذه الموجة المهاجرة بموجة أخرى كانت قد تابعت شاطئ النيل الغربي حتى دنقلا، فوادي المقدم ، ووادي الملك، حتى بلغت في مسارها مملكة: كانم - برنو؛ حيث كان الإسلام قد بلغ تلك الجهات من بلاد المغرب وشمال إفريقيا، واستقر بعض هؤلاء المهاجرين في سهول أواسط البلاد، وانفتحوا على السكان الوطنيين من النوبة وغيرهم من البجة والزنج فصاهروهم، وعندما بلغوا كردفان ودارفور اضطرَّ جزء منهم أن يتخلوا عن إبلهم ويعتمدوا على الأبقار في ترحالهم ومن ثم عُرفوا بعرب البقارة<sup>(2)</sup>.

### (ج) الطرق التي سلكها العرب إلى بلاد السودان :-

من الراجح أن الهجرات اتَّخذت عدداً من المنافذ ظلت تَرِد عن طريقها القبائل العربية باتجاه بلاد النوبة والسودان، منها ثلاثة منافذ رئيسة؛ هي:

#### (1): الطريق الشرقي من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر:

تدفقت الهجرات من مصر عن طريق النيل الذي كان طريقاً رئيساً للهجرات كما لحقت بعض الجماعات الأخرى عن طريق البحر الأحمر ، ويعد هذا المنفذ من أقدم وأقصر الطرق التي سلكتها الهجرات العربية إلى بلاد النوبة خاصة وإلى القارة الإفريقية عامة، وقد عَرَفه العرب قبل الإسلام، وامتدوا على ساحله الشرقي، ومنه أنشئوا طرق قوافل تسير عليها الإبل إلى المناطق الداخلية في القارة الإفريقية، كما سلكته كثير من القبائل العربية في هجرتها وتجارها مع القبائل التي تسكن في ساحله الغربي؛ مثلما فعل الحضارمة، وقبائل بلي التي ساكنت البجة في الشرق واختلطوا بهم، وحين جاءت الفتوحات الإسلامية توسعت حركة الهجرة من الجزيرة العربية إلى بلاد العالم كافة، وإلى بلدان إفريقية على وجه الخصوص، وفتحت منافذ أخرى

(2) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد أبو زيد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1968، ج 5، ص 923.

للهجرة للسودان غير هذا المنفذ، إلا أنّ ذلك لم يقلل من قيمته كمنفذ من المنافذ التي أسهمت بقسط كبير في الهجرة إلى بلاد إفريقية بعامة، وإلى بلاد النوبة بوجه خاص (1).

## (2): الطريق الشمالي ( النيل):

عُرِفَت المنطقة هذا الطريق منذ قديم الزمان؛ إذ إنّه كان يمثّل الطريق التجاري الذي يربط مصر بوسط إفريقيا وبلاد النوبة والبيجة، وازدادت أهميته بعد توقيع المعاهدة؛ حيث كفلت بعض بنودها للتجار والمهاجرين والقوافل حقّ التحرك الحرّ فيه، وأعطتهم أماناً للتوغل في أعماق البلاد، وأصبح مدخلاً للقبائل العربية إلى بلاد النوبة، ويعد أحد الباحثين أنّ هذا الطريق كان سبباً مباشراً في تعريب بلاد النوبة، وأنّه أعظم وأهم دوراً من المنفذ الشرقي في أمر هجرة القبائل إلى بلاد النوبة، سواء أكان ذلك قبل الإسلام أم في زمن التوسع الإسلامي، وأنّ كثرة الحديث عن الهجرة العربية عبر البحر الأحمر كانت بسبب أنّ بعض القبائل العربية في السودان تدّعي أنّ أسلافها وصلوا من جزيرة العرب مباشرة إلى السودان عبر البحر الأحمر؛ لتأييد دعواهم في الانتساب إلى أصل شريف أموي أو عباسي، أو أنّهم سلالة بعض صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم، ويبدو أنّ هذا الطريق لعب دوراً مهماً في العلاقات التجارية والثقافية في السودان فهو يمثل بوابة إفريقيا على العالم العربي (2). لقد أسهم الطريق الشرقي في دفع وتوسع حركة الهجرة إلى بلاد النوبة، خصوصاً في العهد المملوكي الذي نشطت فيه حركة الملاحة البحرية بين الموانئ الغربية للبحر الأحمر وبين

(1) عابدين، عبد المجيد: القبائل العربية في وادي النيل، بحث في ذيل كتاب البيان والإعراب للمقريزي القاهرة

1961م، ص 142.

(2) على، مريم الشيخ عبد الرحمن، الهجرات العربية وأثرها في تكوين المجتمع السوداني (218-909هـ) (833 م/1505م) رسالة ماجستير، غير منشوره، مقدمة لكلية التربية الحاصحيا، جامعة الجزيرة، 2013م، ص 42.

موانئه الشرقية، بسبب الاعتداءات الصليبية المتكررة على طريق قناة السويس، وهو الأمر الذي أدى لإنعاش مينائي عيذاب وسواكن، اللذين وضع المماليك أيديهم عليهما تمامًا، بعد تكرار الاعتداء على ممتلكات التجار المصريين الموجودين هناك، هذا ولم يقتصر تأثير الطريق الشرقي على الجهات التي تقابل الجزيرة العربية فقط، بل تجاوزتها إلى السودان الأوسط وبلاد السودان الغربي<sup>(3)</sup>. ومهما يكن من أمر، فإن هذين الطريقين الشرقي والشمالي يعدان أهم الطرق التي سلكتها القبائل العربية المهاجرة إلى بلاد النوبة في تلك الفترة.

### (3): الطريق الشمالي الغربي (الليبي):

سلكته القبائل العربية في هجرتها نحو بلاد النوبة والسودان، بعد أن تمكن الإسلام في معظم المناطق الشمالية من القارة الإفريقية، هو طريق يسير باتجاه السهول والبراري الواقعة بين النوبة وكردفان ودارفور، وقد ازدادت شهرته بعد أن قامت في مصر وشمال إفريقيا دول إسلامية مستقلة عن الخلافة العباسية، ولم يكن له دور فاعل ومؤثر في حركة الهجرة نحو بلاد النوبة لجفافه وصعوبته، بسبب الصحراء وقلة الماء، على أنه كان هناك عدد من الطرق والمنافذ سلكتها القبائل العربية من هذا الاتجاه، ومنها الطريق الذي يبدأ من شنقيط وينتهي إلى تمبكتو، فجاو، وزندر، وكوكوا، وبيدا، ومسنيا، وأبشي، والفاشر، ثم يخترق سهول الجزيرة، حتى ينتهي إلى سواكن، وقد اشتهر هذا الطريق لكونه قد رُفد بلاد السودان والنوبة بأعداد كبيرة من العلماء والدعاة الذين أسهموا مساهمات كبيرة في نشر الدعوة الإسلامية، وتوطئتها في تلك المناطق<sup>(1)</sup>.

(3) المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي : السلوك ج 1، تحقيق محمد مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والنشر - القاهرة 1941م ص 506.

(1) التونسي، محمد بن عمر : تنشيط الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل عساكر ومصطفى مسعد، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965م، ص 6.

## ح) أشهر القبائل التي هاجرت إلى السودان:ـ

رغم الخلاف الواسع بين الباحثين في إعداد القبائل العربية التي هاجرت إلى بلاد النوبة، وفي أنسابهم، إلا أنه يمكن القول بما اتفق عليه معظم الباحثين أنّ الجماعات العربية التي هاجرت إلى بلاد النوبة قد اشتملت على المجموعتين العربيتين، وهما مجموعتا العدنانيين والقحطانيين، حيث يمثل العدنانيون الكواهلة والمجموعة الجعلية، وبعض القبائل الأخرى، في حين يمثل القحطانيون المجموعة الجهنية. ويُقال إنّ الكواهلة ينتسبون إلى كاهل بن أسد بن خزيمة، وأتهم قدموا إلى بلاد النوبة من جزيرة العرب مباشرة عبر البحر الأحمر، واستقروا في الإقليم الساحلي بين سواكن وعيذاب، وينسب إليهم كذلك البشاريون والأمراء وبنو عامر، ومن المؤكد أنّ أولاد كاهل قد عاشوا زمنًا في الأقاليم الساحلية الشرقية والمناطق التي تليها، ثم انتشروا انتشارًا تدريجيًا نحو الغرب<sup>(2)</sup>.

أما المجموعة الجعلية، فينتسبون إلى إبراهيم الملقب ب (جعل) ، من نسل العباس عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وترجع أسباب هذه التسمية إلى أنّ إبراهيم هذا كان جوادًا مضيافًا، وأنه كان يقول للمواطنين وغيرهم من العرب: "إنّا جعلناكم منّا": أي: أصبحتم منا ، وتدل هذه العبارة وكثرة ترديدها على أنّ التوغل العربي الإسلامي في المنطقة كان توغلًا سلميًا مبنياً على التودد والصلوات الحسنة مع السكان الوطنيين من النوبيين وغيرهم، إلا أنّ هناك مصدراً آخر يشير إلى أنّ سبب هذه التسمية - أو هذا اللقب - سمة إبراهيم الشديدة ومنظره، والواقع أنّه لم يرد لفظ جعل ومشتقاته في أسماء قبائل العرب القديمة إلا في قبيلتين إحداهما جعل بن

(2) مسعد، مصطفى : امتداد الإسلام والعروبة إلى وادي النيل الأوسط، المجلة التاريخية المصرية 1959م العدد الخامس ، القاهرة، ص 82\_ 83.  
- ماكمايكل ،هارولد أ : تاريخ العرب في السودان الكتاب الأول ، تعريب سيد على محمد ديدان ،مكتبة دار البيضاء، 2013م ،ص57.

ربيعة الذين أقطعهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أرض إرم من ديار جذام، والأخرى بنو حرام بن جعل بطن من بلي من قضاة، وهم بنو حرام بن عمرو بن حبشم؛ فاللفظ إذاً معروف في الجزء الشمالي الغربي من شبه جزيرة العرب؛ أي في الموطن الأول الذي أمدَّ مصر بموجاته العربية المتلاحقة، وتؤكد رواية أخرى أنّ من بين الصحابة الذين نزلوا مصر حزام بن عوف البلوي، وكان من بني جعل من بلي، وهو ممَّن بايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت الشجرة في رهط من قومه بني جعل، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (لا صخر ولا جعل، أنتم بنو عبد الله) ، على أنّه من الصعب القول بإيجاد صلة بين الجعليين الذين هاجروا إلى بلاد النوبة وبين القبيلة المذكورة هنا، والراجح أنّ الجعليين لم يكونوا قبيلة واحدة، بل هم مجموعة من القبائل ذات نسب متقارب، هاجرت على دفعات وعلى مدى عدة قرون، وأهم هذه القبائل: الميرفاب، والرباطاب، والمناصر، والشايقية، والجوايرة؛ والركابية، والجموعية، والجمع، والجوامعة، والبديرية، والغديان، والبطاحين ، ومن القبائل العدنانية كذلك قيس عيلان، وكنانة، وبنو حنيفة، وربيعة، وبنو فزارة، وبنو سليم، وبنو يونس<sup>(1)</sup>.

أما أشهر القبائل القحطانية التي هاجرت إلى بلاد النوبة، فهي قبائل بلي وجهينة، وقد ذكر المؤرّخون أنّ الصعيد الأعلى في هذه المرحلة - خلافة المعتصم - سكنته جموع هائلة من عرب سبأ، ونزل منهم أرض المعدن خلق كثير، كانت بلي وجهينة من جملتهم ، وينتسب هؤلاء الجُهَينيون إلى عبد الله الجهني الصحابي، وهو وإن لم يكن من جهينة

(1) أبو على ، أحمد بن الحاج: مخطوطة كاتب الشونة، تحقيق الشاطر بصلي، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون تاريخ، ص 45 .

\_ الزبيدي، محمد المرتضى :مصدر سبق ذكره ، ج 8 ، ص 243 .

\_ شقير،نعوم : جغرافية وتاريخ السودان، دار الثقافة، بيروت ، 1967م، ص 62 - 65 .

مباشرة، فإنه من قضاة التي تنتسب إليها جُهينة ، وتضم قبائلها قبائل رفاة، واللحويين، والعوامرة، والشكرية، وقد سكن هؤلاء في النصف الشرقي من السودان وادي النيل، وعلى شاطئ النيل الأزرق والبطانة، وفي كردفان، مثل قبائل دار حامد، وبني جرار، والزيادية، والبزعة، والشنابلة، والمعالي، وفي غرب كردفان ودافور تشمل قبائل: الدويحية، والمسلمية، والحممر، والكبابيش، والمحاميد، والماهرية، والمغاربة، والبقارة، ومن القبائل القحطانية كذلك قبيلة بهراء، وهي بطن من قضاة التي انتشرت بين صعيد مصر وبلاد الحبشة، وكان لهم فضل كبير في تقويض دعائم المملكة النوبية<sup>(2)</sup>. وما نخرج به من خلال تتبُّع هجرة القبائل العربية إلى بلاد النوبة هي سرعة اختلاطهم بالسكان النوبيين وغيرهم من الوطنيين في فترة وجيزة، كذلك لا تكاد تجد أسماء من القبائل العربية في مصر إلا وتجد له نظيراً في بلاد النوبة؛ مما يؤكد أهمية المنفذ الشمالي القادم من مصر عن طريق النيل في أمر الهجرة وتوسعها، إضافة إلى ذلك، فإنّ هذه الهجرات لم تتم في وقت معلوم محدد بفترة زمنية معينة يمكن إحصاؤها وتقديرها.

#### (خ) أثر الهجرات العربية في مجتمع السودان :-

هناك الكثير من الآثار و النتائج التي ترتبت على الهجرات العربية التي وفدت إلى السودان ومن أهم هذه الآثار التالي :-

#### (1) الآثار السياسية :-

من أهم آثار الهجرات الأثر السياسي المتمثل في إنها قد نقلت المجتمع السوداني من مجتمع رعوي متنقل إلى مجتمع مستقر؛ وذلك باحتراف الزراعة، وتكونت وحدات سياسية صغيرة مثل دار نيران بني فلان وهي تعني المكان الذي تنزل

(2) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر : ،مصدر سبق ذكره ، ص 89،

عنده القبيلة ، وهذا الأمر لم يكن معروفاً من قبل، ومن ثم تكونت المشايخ، وهي تتكون من مجموعة من الفروع الصغيرة ويتولاها أقوى شيخ القبائل في المنطقة<sup>(1)</sup>.

وعندما بدأت الهجرة إلى بلاد السودان أدت المصاهرة بين العرب والسكان إلى انتقال السلطة إلى العرب حسب نظام الوراثة من ناحية الأم عند النوبة، ومن التطورات السياسية أصبح الحكم وراثياً في بيت شيخ القبيلة أو الدار، وتكونت من مجموعات القبائل في الإقليم الذي اتخذته داراً لها زعامات إقليمية تولها شيخ المشايخ، وعرف باسم الملك أو المناجل وبهذا انتهى نظام الوراثة القديم الذي كان يورث عن طريق الأمومة، ومن الآثار التي تركتها الهجرات: القضاء على الممالك المسيحية و انصهارهم مع السكان المحليين بعد سقوط هذه الممالك وازدادت منعهم بظهور التكوينات القبلية الكبيرة حيث وحدهم عبد الله جماع القاسمى، وقضى على مملكة علوة في منتصف القرن الخامس عشر ، والواضح أنّ سقوط علوه كان نتيجة جهد عربي إلا أنّ مدة انفراد العرب بالسلطة لم تدوم طويلاً إذ سرعان ما نازع العبدلاب حلفاء عبد الله جماع جماعة من البدو عرفوا باسم الفونج ، فقامت مشيخة العبدلاب في الجزء الشمالي من السودان الشرقي الذي كانت تسيطر عليه علوة المسيحية . وقد تعرضت هذه المنطقة إلى تدفق النفوذ العربي ممثلاً في استقرار مجموعات كبيرة من العرب فيه ، فانتشرت الثقافة العربية فازدهرت إعداد كبيرة من المراكز الدينية المهمة فتصدت الزعامة الدينية والروحية فأصبحت مصدر إشعاع إسلامي حضاري<sup>(2)</sup> فقامت مملكة الفونج الإسلامية 910هـ \_1504م

(1) حسن ، حسن إبراهيم : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، 1965، ص311 .

(2) حسن، يوسف فضل:مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي 1450هـ \_1821م ، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم ، 1410هـ \_ 1989م ، ط3، ص 31.

فاستطاعت أن تبسط نفوذها على العبدلاب وعلى رعاياهم من العرب وغيرهم من الوطنيين حتى الشلال الثالث ، كما شملت مملكة الفونج التي عرفت بالسلطنة الزرقاء أجزاء كبيرة من كردفان والبجة ، ولقد تمازج العنصران العربي والسودان الإفريقي وتكاملا ثقافياً في بوتقة الحضارة الإسلامية تحت رعاية منشى هذه المملكة عمارة دنقس (\*) وعندما قامت مملكة الفونج الإسلامية تحقق نوع من الاستقرار السياسي مهد لنشر الدين الإسلامي بطريقة أعمق واشمل ، وبدأ الاتصال الرسمي للسودان مع البلاد العربية الإسلامية ، حينها تمكن بعض السودانين من الهجرة إلى مصر والحجاز طلباً للعلم ، ثم وضعت الأسس التي سارت عليها الدولة السارية في نظامها السياسي في الاتفاق الذي تم بين عمارة دنقس وعبد الله جماع (1).

لم يكن النظام الملكي الذي وضعه الفونج غربياً على السودان ، فقد كانت مملكتنا المقرة وعلوة تمارسان نظاماً ملكياً إلا أنه لم يكن مستبداً وإنما كان يأخذ بمبدأ الشورى (2). واتسعت حدود الفونج نحو الغرب حتى بلغت كردفان والواقع أنهم سيطروا على الجزء الواقع جنوب أربجي (\*) حتى جبال فازوغلى في الجنوب ومن الشرق

(\*) عمارة دنقس هو مؤسس دولة الفونج ، اشتهر بالعدل وبالاهتمام برعيته ، تمثل العلاقات بينه وبين العثمانيين حادثاً مهماً عندما حاول السلطان سليم غزو المملكة كتب له بطلب طاعته فرد عليه عماره فأرسل له نسخه من كتاب السمرقند وشرح له نسب مملكته وإنهم مسلمون ، فلما اطمأن السلطان سليم عدل عن فكرة الحرب . - شقير ، نعوم : مرجع سبق ذكره، ص 388.

(1) حسن ، يوسف فضل:مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي مرجع سبق ذكره، 31.

- ضرار ، ضرار صالح : هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل مصر والسودان، الرياض ، مكتبة التوبة ، 1429هـ\_2008،ص3.

(2) متولي ، عبد الحميد : تطور نظام الحكم في السودان منذ أقدم العصور حتى الآن، مطبوعات جامعة أم درمان الإسلامية ، الخرطوم ، ج1،1960م ، ص 112،113.

(\*) أربجي ،مدينة تجارية على النيل الأزرق ، تبعد نحو ميلين جنوب الحصاحيصا، نشأت حوالي 889هـ\_ 1475 م على يد حجازي بن معين الذي أخذ العلم على يد تاج الدين البهاري وقد فسر البعض كلمة أربجي بمكان العرب في اللغة النوبية ، والعبدلاب جعلوا منها مركزاً إدارياً للجزء الجنوبي من مشيختهم والفونج حسنوا لهم موقعها حتى يسهل

تاخمت بلادهم الحدود الحبشية ومن أهم ملوك السلطنة بادي أبو دقن ، وتعد فترته من فترات الحكم المهمة في السودان وخاصة أنّ الدولة تحولت تحولاً حضارياً في السياسية والدين والاجتماع ، اتسعت الدولة وبلغت أوج قوتها في عهد السلطان بادي أبو شلوخ ، ثم تولى من بعده ابنه ناصر 1751م وتم تحويل السلطة إلى الهمج بزعامة أبو الكليك ، حيث بدأ عصر الضعف و الانحلال في هذه الدولة التي ظلت تحكم السودان ما يزيد على ثلاثة قرون حتى سقطت في يد الأتراك المصريين عام 1821م، إما بالنسبة للممالك الإسلامية الأخرى فقد كانت سلطنة الفور ومملكة تغلى وقد تبلورت كل هذه الممالك ولعبت دوراً مهماً في تشكيل السودان الحالي، ومن الملاحظ على قيام هذه الممالك أنّها قامت في مناطق متفرقة بعيدة نوعاً ما عن موطن الحضارات السابقة التي اتخذت من النيل شمال الخرطوم مستقراً لها، ولاشك أنّ هذا يعكس انتشار القبائل العربية في أجزاء كبيرة من مناطق السودان الحالي، و خلاصة القول فإنّ الهجرات العربية كانت العامل الأساس لاستبدال السلطة الحاكمة في بلاد النوبة لأنّه منذ مجيء المسلمين في مصر 20هـ - 639م ولم تكن هنالك سياسة واضحة وثابتة تجاه هذه الممالك لإخضاعها وأسلمتها إنّما حدث ذلك بفعل عوامل التغيير البشري والحضاري، وكانت أبرز سمة له التحول السلمي والطوعي لاعتناق الإسلام وقيام الممالك الإسلامية<sup>(3)</sup>.

## (2) الآثار الاجتماعية :

مراقبة العبدلاب وقد تدهورت اثر خلاف بين العبدلاب والشكرية ،فتفرق أهلها ،ووصفها كاتب الشونة بأنّها قرية كاملة الحسن والبنيان مليحة العمارة والتجارة وفيها أناس صالحون .

- ود ضيف الله ، محمد النور : الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان ،الدار السودانية للكتب ،الخرطوم بدون تاريخ ص 40.

(3) شببكة ،مكي : السودان عبر القرون ، دار الثقافة بيروت ، 1991م ،ص26.

على أساسها يقوم الأفراد أو الجماعات بالهجرة فراراً من الاضطهاد العرقي أو الديني أو الثقافي لأسباب طبيعية: وعلى أساسها يهاجر الناس إلى المناطق الأكثر أمناً. كأن يقوموا بالهجرة من مناطق الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين ومناطق السيول والفيضانات ومناطق المد البحري والعواصف البحرية، أو مناطق التصحر والقحط والجفاف إلى المناطق التي يضمنون استمرار حياتهم فيها بشكل آمن.، كان للهجرات العربية أثر واضح في الناحية الاجتماعية فانتقلت كثير من العادات العربية مثل الأكل واللبس وعادات الأفراح ودفن الموتى إلى السودان بعد أن تمكن العرب من فرض سيطرتهم على التجارة، وازدادت أعدادهم واستقر كثيرون منهم في بلاد السودان فتأثر المجتمع المحلي بعاداتهم الاجتماعية، وعن طريق مصر تدفقت المؤثرات العربية بقوة إلى بلاد السودان، وأدى دخول العرب في إعداد كبيرة إلى غلبة الثقافة العربية واللسان العربي على أجزاء كبيرة من البلاد، وانتشار الإسلام بين الوطنيين الذين كانوا يؤمنون بالمسيحية، والتدفق العربي الإسلامي نحو بلاد النوبة هو أنّ دخلت كثير من العناصر العربية الوافدة ونتيجة للتصاهر مع النوبيين فقد نتج عنه جيل من المولدين النوبة المستعربين اعتنقوا الإسلام مما كان له الأثر الكبير في إضعاف الممالك النوبية والديانة المسيحية في نفوس أهلها في النوبة ومن جاورهم من القبائل الأخرى.

ومن الآثار كذلك أنّه كان العرف السائد عند النوبة وتقاليدهم هو توريث ابن البنت أو ابن الأخت دون ولد الصلب، وهذا النظام هو نظام عام عند معظم القبائل الإفريقية وبه استطاع بنو الكنز تولى السلطة في بلاد النوبة، كما أنّ هناك بعض الصفات الحميدة الحسنة التي رغبت العرب في الزواج من بنات النوبة، منها الصفات الخلقية، إضافة إلى ما يتمتعن به من الأخلاق الحميدة والعفة والإخلاص

وتقدير الحياة الزوجية والاهتمام برعاية الأبناء وتنشئتهم في بيئة قوية (1). ومثلت قبيلة ربيعة العربية أنموذجاً واضحاً وجلياً على مدى التصاهر الذي تم بين العرب والنوبيين بعد أن صاهروا قبائل البجة في الشرق فعاد ذلك التصاهر على الطرفين بخير كثير خاصة الطرف النوبي الذي تحول جميعه إلى الإسلام بسبب إسهامات هذه القبيلة ورجالها من بني الكنز وانتقلت كثير من عاداتهم العربية للنوبيين في شتى أوجه الحياة العامة ، كما ادخلوا بعض التعديل في طعامهم، كما عرفوا استخدام الصباح في صناعة بعض دقيق الخبز من الذرة تماما كما يصنع بدو جزيرة العرب، وفي ملابسهم بدأت المؤثرات العربية أكثر وضوحاً إذ عدلوا عن الملابس القصيرة وأصبح لباسهم اقرب للباس القبائل التي ساكنتهم العرب، فأصبح النوبي يضع على رأسه غطاء يتخذ شكل طاقية من القماش بيضاء (2).

إما النساء فقد أخذن عن العرب الرهط وهو قطعة من جلد أحمر مشقق بسيور ليس له حجزه يشد كما تشد السراويل فتلبسه الجواري قبل الزواج فإن زوجن خلعنه، كما أخذ الجيل المستعرب من النوبيين كثيراً من أسماء الحلي التي كانت تتخذها القبائل زينة لنساءها إذا كان من الفضة أو الذهب أو العاج حيث دخل الأثر النوبي فيها ، عليه فإنّ النوبيين تأثروا كثيراً بالعادات العربية، كما أخذ العرب من النوبيين بعضاً من عاداتهم وتقاليدهم وصبغوها بصبغتهم الخاصة حسب وضعهم الاجتماعي ومنها أخذهم عادة الشلوخ من النوبيين، فاتجهوا إلى تلك العادة النوبية

(1) حسن ،يوسف فضل: دراسات في تاريخ السودان وإفريقيا وبلاد العرب ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ج2، الخرطوم 1976م ،ص152.

بوركهارت، جون لويس : رحلات بوركهارت في النوبة ،مطبعة المعرفة ،بدون تاريخ ،ص136.

(2) القوصي ،عطية: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ،1976م ،ص 123 .

حسن ، يوسف فضل:مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، مرجع سبق ذكره ،ص 66.

فتبنوها ليميزوا بها عن سواهم، حتى أصبحت سمة ودليلاً على عربيتهم، ومما يدل على تأثير هذه الهجرات اجتماعياً أنّ موطن القبائل كان يعرف باسم أعمال وأصبح يعرف بالديار ومن هذا الاختلاط انتقلت كثير من العادات الاجتماعية العربية إلى السودان. ومما يجدر ذكره أنّ خريطة السودان آنذاك كانت تبين ثلاث بيئات: بيئة خضعت كلياً للعنصر العربي مثل أواسط السودان وجنوب دارفور وشمال كردفان، وبيئة خضعت للنفوذ الإسلامي العربي بينما بقي الأصل بسماته الأصلية فتحوّلت إلى الإسلام بينما احتفظت بلغاتها الأصلية وأسلوبها المعين في الحياة، وهكذا نجد البجة في الشرق والنوبة في الشمال والفور في الغرب، وبيئة ظلت لفترة طويلة بعيدة عن النفوذ الإسلامي العربي، وصارعت لكي تحتفظ بأسلوب حياتها ولغاتها مثل منطقة جبال النوبة وجنوب شرق السودان (منطقة النيل الأزرق).<sup>(1)</sup> ومن نافلة القول إنّ العروبة في السودان ليست حدثاً جديداً، وإتّما ترجع إلى زمن بعيد وكان تأثيرها واضحاً في المجتمع السوداني.

#### الخاتمة:

إنّ الهجرة من المظاهر الاجتماعية التي تغير وتؤثر على المجتمعات البشرية ومما يؤكد ذلك أنّ هذه الجماعات العربية الوافدة قد تركت أثراً واضحاً من الناحية الدينية بانتشار الإسلام والثقافة العربية بين سكان البلاد، وأثراً في الناحية الاقتصادية حيث تمكن العرب من فرض سيطرتهم على التجارة في كل أنحاء البلاد، ثم بدأت تظهر الآثار الاجتماعية لهذه الهجرات فانتقلت كثير من العادات العربية وانتشرت بين السكان المحليين، أما الأثر السياسي فقد تمثل في اتفاقية البقط التي

(1) حسن، يوسف فضل: الشلوخ أصلها ووظيفتها في السودان وادي النيل، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، الخرطوم، 1976م، ص9.

كانت الأساس لتنظيم السيطرة العربية على بلاد السودان، ولقد ظل سجل الثقافة النوبية حتى دخول العرب المسلمين بأعداد كبيرة، يتأرجح في تفاعل بين ثقافتى الزوج والحاميين من جهة، وما طرأ عليها من مؤثرات خارجية على رأسها الأثر المصري، من جهة أخرى فقد كان للحضارات المصرية التي قامت على حوض النيل الشمالي أثر كبير في الشعوب التي سكنت حولها بوجه عام، وعلى بلاد النوبة على وجه الخصوص؛ حيث أدت تلك العلاقة إلى تسرب الأفكار والمعتقدات والطقوس، والعادات والتقاليد بوصفه نتاجاً طبيعياً أو حتىي للصلات الفكرية والتجارية التي كانت قائمة بين البلدين، فكان قدماء المصريين يعدون ديار جيرانهم إلى الجنوب بمثابة مصدر هام للمنتجات الإفريقية ومدخلاً رئيساً لها، فتوغلت القوافل التجارية منذ الدولة المصرية القديمة محملة بأدوات الزينة والحلي والأسلحة، وكانت تعود بالذهب والزمرد، والرقيق، والأبنوس، والعاج، وبازدهار هذه العلائق التجارية توغلت التجار جنوباً، وأثروا تأثيراً حضارياً كبيراً، كما يلاحظ أنّ العناصر السكانية في السودان الآن كانت نتيجة التمازج الاجتماعي عن طريق التصاهر منذ أقدم العصور و الارتباط بين السودان والجزيرة العربية منذ أمد بعيد يؤكد عمق الثقافة الذي ما زالت عليه الجماعات والقبائل العربية في السودان وهو أنّ تلك الهجرات أدت إلى تعريب سودان وادي النيل، وأنّ بلاد السودان (النوبة) ظلت ملجأ لكثير من الهاربين من مصر، أو من الجزيرة العربية بسبب الثورات وتغير نظام الحكم، ويقدم هؤلاء عادة في أعداد ضخمة وكبيرة حيث اختلطوا بالسكان المحليين، وتزوجوا منهم، وأنّ الاتصالات بين أهل السودان والقبائل العربية كان هدفها التبادل التجاري الذي نتج عنه استقرار مؤقت في مراكز ساحلية، وقد لعبت الهجرة العربية إلى أفريقيا دوراً مهماً وبارزاً في نشر الإسلام واللغة العربية .

- أ) النتائج : توصلت الدراسة إلى عدة نتائج هي:-
- (1) إنّ بلاد السودان(النوبة) ظلت ملجأً لكثير من الهاربين من مصر، أو من الجزيرة العربية بسبب الثورات وتغير نظام الحكم، ويقدم هؤلاء عادة في أعداد ضخمة وكبيرة حيث اختلطوا بالسكان المحليين، وتزوجوا منهم .
- (2) الارتباط بين السودان والجزيرة العربية منذ أمد بعيد يؤكد عمق الثقافة الذي ما زالت عليه الجماعات والقبائل العربية في السودان .
- (3) إنّ العناصر السكانية الموجودة في السودان تكونت نتيجة التمازج الاجتماعي عن طريق المصاهرة منذ أقدم العصور.
- (4) إنّ الاتصالات بين أهل السودان والقبائل العربية كان هدفها التبادل التجاري الذي نتج عنه استقرار مؤقت في مراكز ساحلية وقد لعبت الهجرة العربية إلى أفريقيا دوراً مهماً وبارزاً في نشر اللغة العربية و الإسلام.
- (5) إنّ الظروف الداخلية في السودان كانت مساعدة على تقبل هذه الهجرات التي وصلت إلى المنطقة من غير سند أو سلطة سياسية أو دعوه منظمة .
- ب) التوصيات :- توصي الدراسة بالتالي :-
- (1) الهجرات العربية والتأثيرات الثقافية والدينية في بلاد السودان .
- (2) المقارنة بين بلاد السودان قبل الهجرات العربية وبعدها.
- (3) دخول العرب السودان قبل الإسلام وبعده.
- (4) عروبة أهل السودان والآثار الاقتصادية والدينية .

### المصادر والمراجع :

(أ) القرآن الكريم .

(ب) الحديث النبوي :-

(1) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تحقيق د. ثروت عكاشة، دار العلم للطباعة والنشر، جدة 1403هـ.

(2) ابن ماجة: سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر (بدون تاريخ)، ج 2 .

(3) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب: سنن النسائي ج 6، مكتبة مصطفى الحلبي، 1984.

(ت) المصادر الأولية العربية :-

(1) ابن إياس ، محمد بن أحمد : بدائع الزهور ت/ 1330هـ القاهرة 1896م.

- (2) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار كتب المؤسسة المصرية العامة، القاهرة1383/1963م .
- (3) التونسي، محمد بن عمر : تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل عساكر ومصطفى مسعد، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1965م.
- (4) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: معجم البلدان، ج2، بيروت، 1920م .
- (5) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد أبو زيد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1968، ج 5.
- (6) الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس: نزهة المشتاق في افتراق الأفاق، ج 1، روما 1970م.
- (7) الزبيدي، محمد المرتضى : تاج العروس من جواهر القاموس، ج 8، بيروت، مكتبة دار الحياة ، القاهرة 1307هـ.
- (8) ابن سيد الناس ، محمد بن عبد الله : السيرة النبوية، ج 1، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1406هـ / 1986م .
- (9) أبو علي، أحمد بن الحاج: مخطوطة كاتب الشونة، تحقيق الشاطر بصيلي، دار إحياء الكتب العربية مصر، القاهرة ،(دون تأريخ) .
- (10) الكندي ،محمد بن يوسف: الولاة والقضاة، دار صادر، بيروت 1379هـ / 1959م .
- (11) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي: السلوك ج 1، تحقيق محمد مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والنشر - القاهرة 1941م .

(12) \_\_\_\_\_ : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج 1 القاهرة المطبعة الأميرية 1970م .

(13) \_\_\_\_\_ : البيان والإعراب عمن بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد المجيد عابدين، القاهرة، 1961م.

(14) المسعودي : أبو الحسن على بن الحسين بن على :التنبيه والإشراف تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي الناشر: مكتبة الشرق الإسلامية - القاهرة الطبعة، 1938م .

(15) ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك: السيرة النبوية،، تحقيق مصطفى عبد الستار، (وأخريين)، ج1 مطبعة الحلبي، مصر، مصر 1355هـ / 1936م.

(16) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر : تاريخ اليعقوبي، ج 1، دار صادر، بيروت، 1960م .

(17) \_\_\_\_\_ : كتاب البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف، 1377هـ/1957م.

#### (ب) الرسائل الجامعية :\_

(1) الحاج ، محمد أحمد علي :الإسلام في وادي النيل الأزرق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية ،كلية الآداب ،1402هـ/1982م .

(2) على ، مريم الشيخ عبد الرحمن ، الهجرات العربية وأثرها في تكوين المجتمع السوداني (218هـ-909هـ) \_ ( 833 م -1505م )رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزيرة غير منشورة 2013.

#### (ت) المراجع العربية الثانوية :\_

- (1) الأرميني، أبو صالح: تاريخ الشيخ أبي صالح الأرميني، أكسفورد 1894م .
- (2) الأسواني، أحمد بن سليم : أخبار النوبة (المواعظ والاعتبار) ج1، المطبعة الأميرية ، القاهرة، 1270.
- (3) \_\_\_\_\_ : مملكة الفونج الإسلامية، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية ، القاهرة ، 1964م .
- (4) البصيلي، الشاطر: معالم تاريخ السودان وادي النيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1969م.
- (5) خورشيد ، عبد الله: القبائل العربية في مصر، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1967م .
- (6) حسن ، يوسف فضل: الشلوخ أصلها ووظيفتها في السودان وادي النيل ، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ، الخرطوم ، 1976م .
- (7) \_\_\_\_\_:مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي 1450هـ/1821م ط3 ، الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، 1410هـ/1989م .
- (8) \_\_\_\_\_: دراسات في تاريخ السودان وإفريقيا وبلاد العرب ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ج2، الخرطوم 1976م .
- (11) حسن، حسن إبراهيم : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، 1965.
- (12) أبو سليم ، محمد إبراهيم: بحوث في تاريخ السودان، دار الجيل ، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.

- (13) شببكة ، مكى : السودان عبر القرون ، دار الثقافة بيروت 1991 م .
- (14) ضرار، ضرار صالح : هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل مصر والسودان، الرياض المملكة العربية السعودية ، مكتبة التوبة ، 1429هـ/ 2008، ص3.
- (15) عوض الله ، الشيخ الأمين محمد : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين مالي و صونعى ، المجمع العلمي ، جدة ، 1979م .
- (16) عمار ، عباس: وحدة وادي النيل، أسسها الجغرافية ومظاهرها في التاريخ، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1947م.
- (17) عابدين ، عبدا لمجيد: القبائل العربية في وادي النيل، بحث في ذيل كتاب البيان والإعراب للمقريزي القاهرة 1961م.
- (18) القوصي ، عطية: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1976م .
- (19) المهدي ، الصادق الصديق عبد الرحمن : مستقبل الإسلام في السودان، بدون ناشر، 1982.
- (20) مسعد ، مصطفى: الإسلام والنوبة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية 1966م.
- (21) محمد ، محمد عوض: السودان الشمالي سكانه وقبائله، القاهرة، 1981م .
- (22) متولي ، عبد الحميد : تطور نظام الحكم في السودان منذ أقدم العصور حتى الآن ، ج 1 ، ط1، مطبوعات جامعة أم درمان الإسلامية ، 1960م .
- (23) ود ضيف الله ، محمد النور : كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم دون تأريخ.
- (ث) المراجع الأجنبية الثانوية المعربة : \_
- (1) بوركهارت ، جون لويس : رحلات بوركهارت في النوبة ، مطبعة المعرفة ، دون تأريخ .

(2) رولاند أوليفر: (موجز تاريخ إفريقيا)، ترجمة دولت أحمد صادق، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(3) شقير، نعيم: جغرافية وتاريخ السودان، ج2 ، دار الثقافة، بيروت، 1967م .

(4) ماكمايكل ،هارولد أ: تاريخ العرب في السودان الكتاب الأول ، تعريب سيد على محمد ديدان ، مكتبة دار البيضاء، 2013م .

(ج) المراجع الأجنبية غير العربية :\_

(1)Michael H.A : A History of the Arabs in the Sudan ،Cambridge 1922.

(2)Macmicheal H.A." The Coming Of Arabs in Sudan ". AESW ،London 1935 .

(3)\_Holbl, Gunther, A History of The Patolemaic Empire , Routledge, London & New York 2007, [ISBN 978-0-415-23489-4](https://doi.org/10.1017/9780415234894)

(ح)المجلات :\_

(1) بشير، محمد عمر: العلاقات العربية الإفريقية، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 1994م.

(2) حسن، يوسف فضل: المعالم الرئيسية في الهجرة العربية إلى السودان، المجلة التاريخية المصرية، العدد الخامس، القاهرة .

(3) حريز، سيد حامد: السودان ومستقبل العلاقات العربية الإفريقية ، مجلة دراسات افريقية، العدد 34، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، السنة .

(4) خليفات، عوض محمد : العرب والنوبة في صدر الإسلام، بحث بمجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، رجب 1402هـ / 1982م، ص 63.

- (5) العرش، أحمد عبد الرحمن: هجرة الأفارقة غير الشرعية إلى أوروبا، مجلة الراصد، العدد الخامس، مركز الراصد للدراسات السياسية والاستراتيجية، ديسمبر 2008م.
- (6) مسعد، مصطفى: البجة والعرب في العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مجلد 21، عدد 2 القاهرة.
- (7) \_\_\_\_\_: امتداد الإسلام والعروبة إلى وادي النيل الأوسط، المجلة التاريخية المصرية 1959م (العدد الخامس)، القاهرة.
- (8) \_\_\_\_\_ صدر الإسلام، بحث بمجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، رجب 1402هـ.
- (9) مجلة الهجرة الدولية والصحة وحقوق الإنسان، منظمة الصحة العالمية، العدد الرابع، ديسمبر 2003.